العلامة اللسانية (مقاربة تحليلية في الأسس والمفاهيم)

إبتسام علي ساسي *

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا

* البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): eb.sasi@uot.edu.ly

The Linguistic Sign (An Analytical Approach to Foundations and Concepts)

Ebtisam Ali Sassi*

Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education, University of Tripoli,
Tripoli, Libya

Received: 10-05-2025; Accepted: 28-06-2025; Published: 10-07-2025

المخلص

تحتل العلامة اللسانية موقعاً محورياً في علوم اللغة الحديثة، إذ تُعد الوحدة الأساسية التي ينبني عليها النظام اللغوي وتتشكل من خلالها عمليات التواصل الإنساني، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هي منظومة معقدة من العلامات التي تكتسب دلالتها ووظيفتها ضمن سياقها النسقي والاجتماعي، وقد تباينت الرؤى حول مفهوم العلامة بين التراث العربي الذي أولى اهتماماً بالغاً للعلاقة بين اللفظ والمعنى، والدراسات الغربية التي قادت ثورة مفاهيمية مع فرديناند دي سوسير وشارل بيرس، حيث انتقلت العلامة من كونها مجرد رمز أو إشارة إلى بنية دلالية مركبة تدمج بين الدال والمدلول، وتخضع لمبدأ الاعتباطية والمواضعة الاجتماعية.

لقد أفضت هذه التحولات النظرية إلى اتساع مفهوم العلامة ليشمل مختلف أنماط التواصل الإنساني، وأصبحت دراسة العلامة اللسانية مدخلاً لفهم الظواهر اللغوية والثقافية والاجتماعية على حد سواء، من هنا تبرز أهمية هذا البحث في تتبع الأسس النظرية والمفاهيمية للعلامة، واستكشاف تطورها عبر التراث العربي واللسانيات الغربية، مع الوقوف على الفروق الاصطلاحية بين العلامة ومفاهيم مجاورة كالإشارة والرمز والأمانة والقرينة.

ويسعى البحث إلى معالجة إشكالية مركزية وهي هل تقتصر العلامة على الحقل اللساني أم تتجاوز ذلك لتغدو أداة تفسيرية لفهم مختلف أنساق الحياة الإنسانية؟ وما مدى التداخل أو التباين بين التصورات التراثية والحديثة حول اعتباطية العلامة ووظائفها؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي مقاربة تحليلية نقدية تستحضر أبعاد العلامة في الفكرين العربي والغربي، وتسلط الضوء على أثرها في إعادة تشكيل الدرس اللساني المعاصر وتوسيع مجالاته التطبيقية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، العلامة اللغوية، الدال، المدلول، اعتباطية العلامة.

Abstract

The linguistic sign occupies a central position in modern language sciences, as it is considered the fundamental unit upon which the linguistic system is built and through which human communication processes are formed. Language is not merely a tool for expressing ideas; rather, it is a complex system of signs that derive their meaning and function within their systemic and social context. Perspectives on the concept of the sign have varied between the Arab linguistic tradition—which paid significant attention to the relationship between word and meaning—and Western studies, which led a conceptual revolution with Ferdinand de Saussure and Charles Peirce. In this shift, the sign evolved from being a mere symbol or indicator to a complex semantic structure that integrates the signifier and the signified, governed by the principles of arbitrariness and social convention.

These theoretical transformations have expanded the concept of the sign to encompass various forms of human communication. The study of the linguistic sign has thus become a gateway to understanding linguistic, cultural, and social phenomena alike. This research highlights the importance of tracing the theoretical and conceptual foundations of the sign and exploring its development across the Arab tradition and Western linguistics, while also examining the terminological distinctions between the sign and related concepts such as the index, symbol, symptom, and clue.

The study seeks to address a central question: Is the sign confined to the linguistic domain, or does it extend to become an interpretive tool for understanding the various systems of human life? To what extent do traditional and modern conceptions of the arbitrariness and functions of the sign converge or diverge? Answering these questions requires a critical analytical approach that considers the dimensions of the sign in both Arab and Western thought and sheds light on its role in reshaping contemporary linguistic studies and expanding their applied domains.

Keywords: Linguistics, Linguistic Sign, Signifier, Signified Arbitrariness of the Sign.

مقدمة:

من المعلوم أن اللغة هي الوعاء الذي تصب فيه الأمم أفكارها وتعبّر بها عن حاجياتها وتتبنى عن شعورها، فالعرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى تفكير اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين.

ومن المتعارف عليه أن الدراسات الألسنية بدأت تظهر بوجه جديد مع مجيء دي سوسير رائد اللسانيات الحديثة، والمتتبع لكتابة دروسه في الألسنية نجده قد أفاض في شرحه للعلامة، فهي في تصوره توجد بين مفهوم وصورة سمعية وليس بين اسم وشيء فالصورة السمعية هي الدال، والتصور هو المدلول.

لذلك جاء البحث ليلسط الضوء على أهم الدراسات التي ناقشت فكرة العلامة اللغوية أو الدليل اللغوي، وتوضيح من تناولها في التراث العربي وأيضا اللسانيين الغربيين في مفهومها وخصائصها ونظرتهم لمفهوم الاعتباطية. حيث اقتضت طبيعة الدراسة أن تنقسم إلى ثلاث محاور أساسية يتعلق الأول: بمفهوم العلامة اللسانية وخصائصها، وسنعتي للقارئ لمحة تحليلية عن العلامة اللسانية عند التراث، ثم أبرز التطورات التي تخص مفهوم العلامة عند أبرز علماء الغرب، وثالثها الفرق بين العلامة وبعض المصطلحات المقابلة لها، يليها توضيح العلامة البسيطة والمركبة.

• منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على الوصف والتحليل.

• إشكالية الدراسة:

إن الإشكالية الرئيسية التي حاولنا الإجابة عنها من خلال دراستنا هي:

1. هل يقتصر وجود العلامة على درس اللساني فقط أم أنه يتسع في كل مجالات الحياة؟
2. ما الهيئة التي تأتي بها العلامة المفردة والمركبة.
3. هل ثمة صلة بين المفاهيم في التراث العربي القديم وبين اللغويات الحديثة في مسألة اعتبارية العلامة اللسانية.

• أهداف الدراسة:

1. التركيز على تأثير الدراسات المعاصرة في إعادة تعريف هذه العلامة وتوسيع مجالات استخدامها في درس اللساني المعاصر.
2. توضيح مصطلح العلامات اللسانية؛ فكثير من الباحثين يخلط بين استقبال وتطبيق تلك المفاهيم اللسانية.
3. تقديم عرض تحليلي لأهم التطورات التي مرت بها العلامة اللسانية في درس اللساني المعاصر، مع التأكيد على أهمية مفهوم الاعتبارية والتركيب في فهم العمليات اللغوية التي تؤثر في التواصل البشري.

من هنا كان لزاماً أن نعرض مفهوم العلامة في اللغة والاصطلاح.

أولاً: العلامة في اللغة.

ذكر ابن منظور العلامة السمة، والجمع علام وهو من الجمع الذي لا يفارق واحده إلا بإلقاء الهاء. (1) وأرجع ابن فارس (395هـ) العلامة إلى أصلها، قائلاً "علم" العين واللام والميم أصل واحد صحيح يدل على أثر في الشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة وهي معروفة يقال علّمت على شيء علامة، ويقال "أعلم الفارس إذا كانت له علامة في الحرب" (2). ويمكن القول أن (علامة) على وزن فعالة من علم بمعنى الراية، ومنها جعل العالم علامة يهتدي به لمعرفة الشيء (3)

ثانياً: العلامة في الاصطلاح:

إن العلامة اللغوية هي وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، وهي لفظ يقوم مقام المدلول ذهنياً أو يقوم مقام الشيء الغائب، وتضم جانبيين أساسيين هما الدال والمدلول (4)، فالأول يرد بمعنى الدال

1 / لسان العرب ، ابن منظور، مج 12، ص 419.

2 / معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مج 4، ص 109.

3 / القاموس المحيط ، الفيروز أبادي، مج 4، ص 153.

4 / اللسانيات الحديثة في المغرب العربي، سميرة بالمالك، ص 32.

مثل لفظ (شجرة) فالدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما، أو تعينه، أما النزول هو التصور أو الشيء المعني كالفكرة الذهنية التي نحملها حول الشجرة.

وهناك عدة تعريفات للعلامة فهي شيء يمثل شيئاً آخر لشخص ما في حالة معينة، ولعل هذا هو التعريف المشهور عند بيرس. (1) أو هي وحدة لسانية مكونة من دال ومدلول، يندرج في إطار نظام دلالي خاص أعم من الرمز اللغوي اصطلاح عليها الناس لتؤدي غرضاً إعلامياً وإخبارياً ما. (2) ومن سمات العلامة الاستعمال، فهي علامة توضع في تركيب وسياق معين يختلف باختلاف السياق والاستعمال والعناصر الأخرى الموجودة معها، أي أنها عندما تستعمل في سياقات أخرى مع عناصر أخرى تقبل البعض منها ولا تقبل البعض الآخر، وهذه السمة تسمح لها بالدخول في الخطاب والتألف مع وحدات أخرى، وهذا ما يعبر عنه إيمييل بنفبيت بمصطلح الدلالية.

وبهذا المعنى تلتقي العلامة في الاصطلاح مع معناها اللغوي من حيث أن كلا منهما تشكل نقطة تعريف الشيء للآخرين، بيد أنهما من حيث التركيب للعلامة في الاصطلاح ثلاثي الأركان، والتركيب في المفردة للمعنى اللغوي أحادي، إذ يعتمد على الشيء الذي شكل نقطة تعريف بالموضوع.

• العلامة اللسانية في التراث العربي:

حظيت العلامة عند القدماء بالوصف والتحليل إذ أنها تأخذ مظهراً كلياً يكون التحرك منه إلى ما تدل عليه بحيث يكون لكل معنى معقول لفظة تدل عليه، والألفاظ عندهم لا تعدو كونها علامات لدلالات ذهنية لكن المواضع اقتضت تخصيص الألفاظ بمسميات محددة باعتبار اللغة أداة للاتصال قوامه الاتفاق على أداة لغوية أو التواضع على دلالة معينة إذ أن كلا منها مشروط بقريضة تلازمه وتجعله يمتاز عن غيره وقديماً تسمى المعنى. ويبدو أن العرب الأقدمين حين استخدموا مصطلح العلامة كان ذلك يعني الشيء المحسوس الذي يستدعي شيئاً آخر بوصفه بديلاً عنه وهي الدلالة الحقيقية لمفهوم (signe) في الفكر السيميائي المعاصر. (3)

واتخذت العلامة عند القدماء معنى المعلم والإشارة والآية والسمة والأثر والأمانة والرمز، أي كل ما يتخذ وسيلة للتعرف على الشيء، فكانت غاية مقصدهم معنى الإخبار والاهتداء والإنباء سواء أكانت الدلالة وضعية أم نقلية (4).

لعل أبا هلال العسكري (400هـ) من العرب الذين اهتموا بجعل فروق بين العلامة والآية والأثر والسمة، والعلامة والأمانة، فالفرق عنده بين العلامة والآية، أن الآية هي العلامة الثانية من قولك "تأبى بالمكان إذا تحبست به وتثبت" وبين العلامة والأثر، ذلك أن أثر الشيء يكون بعده، وعلامته تكون قبله، تقول الغيوم والرياح علامات المطر ومدافع السيول آثار المطر. أما الفرق بين العلامة والسمة، أن السمة ضرب

1 / السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو إيكو، ص39.

2 مبادئ في اللسانيات، خولة الإبراهيمي، ص19.

3 / العلامة في التراث اللساني، أحمد حساني، ص 81.

4 / العلامة والعلامية محمد عبد المطلب، ص10.

من العلامات مخصوص وهو ما يكون بالنار في جسد الحيوان مثل سمات الإبل وما يجري مجراه. و الفرق بين الأمانة والعلامة أن الأمانة هي العلامة الظاهرة ويدل على أصل الكلمة وهو الظهور ومنه قيل أمر الشيء إذا كثر. (1)

ومما يجدر الإشارة لذكره أن مفهوم العلامة في التراث العربي يشمل مفهوم اللفظ والكلمة والاسم، فهي تعد الوحدات الدالة في النظام التواصلي لدى الإنسان، وأن العلامة التي مبناهها من الدال والمدلول والموضوع ينتج عنها دلالة، وإن حصل تغيير في أحدها سيحصل تلقائياً تغيير من الآخر، وتصورهم مبني على أن للاسم إشارة ويقوم بوظيفتها، خاصة على غياب شيء الذي يراه بالإشارة إليه. (2) إذ أن الأداء الفعلي للكلام لا يعدو أن يكون في جوهره استخدام علامات لسانية منطوقة للتعبير عن أغراض المتكلم لأن الضرورة التواصلية تقتضي وجود علامات معينة، وقد ينتقي الكلام بانتقاء وجودها، وينعدم بعدمها (3).

• اللسانيون وتوسع المصطلح بين الكلمة والعلامة:

إن بعض اللسانيين يرون أن هناك فرقا بين مفهوم الكلمة والعلامة فالأولى ذاتية والثانية موضوعية، ومن ناحية المعنى فإن العلامة تمثل شيئا أو مفهوما معينا ومحددا بينما نجد الكلمة بوصفها وحدة معجمية لها معاني متعددة، ولا تحدد هذه المعاني تحديدا دقيقا إلا من خلال السياق، ولهذا نجد العلامة عكس الكلمة تتميز بالوضوح وعدم الغموض (4)، لذا نجد بعض اللسانيين ومنهم سعيد بنكراد من المعارضين أن يعمم لفظ العلامة على كل شيء حيث يقول " إذ ليست الكلمة علامة، كما يُمانع من أن تكون الكلمات داولا للمعاني التي في النفس، ويجعل العلامة نطاق كل شيء في الوجود فإن الإنسان علامة وما يحيط به علامة وما ينتجها علامة، وما يتداوله هو أيضا علامة....، إن كل شيء يدرك بصفته علامة ويشغل كعلامة، ويدل لاعتباره علامة. (5) لذا العلامة عندهم مفهوم أعم وأشمل، ينطبق على أي نظام دلالي، بينما الكلمة مفهوم أضيق، يقتصر على اللغة المنطوقة أو المكتوبة، فكل كلمة هي علامة ولكن ليست كل علامة كلمة فعلى سبيل المثال: علامة التوقف في إشارة المرور هي علامة وليست كلمة.

• مقاربات مصطلحية بين المفاهيم:

هناك فرق بين عدة مصطلحات تراثية متقاربة لمعنى العلامة إذ أن كلا منها مشروط بقرينة تلازمه وتجعله يمتاز عن غيره:

1/ مصطلح الإشارة:

إن الإشارة هي المعنى الذي يفهم من النص من غير أن يصرح في السياق فهي خلاف التصريح فهو مصطلح متقارب بالمعنى من العلامة، وأشار ابن منظور بقوله " وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى، فيضع

1 / الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ص62، 63.

2 / إشكاليات القراءة وآليات التأويل. نصر حامد، ص71.

3 / العلامة في التراث اللساني، أحمد حساني، ص84.

4 / التحليل الدلالي، كريم حسام الدين، مج1، ص60.

5 / السيميائيات والتأويل، سعيد بنكراد، ص73.

ألفاظا تدل عليه، وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه، والإشارة من أشار بمعنى أو أوماً يكون ذلك بالكف والعين والحاجب. (1) فهو حدث مرتبط لحظة زمنية معينة ويبدو أن مصطلح الإشارة استخدمه دي سوسير في الموضع نفسه لمفهوم العلامة معللاً ذلك بكونه يميل لاستخدامها ولا يعرف كلمة أخرى يمكن أن تحل محلها، واللغة الاعتيادية لا توحى له بغيرها(2).

وهذا لا يمنع من أن تكون الإشارة جزءاً متداخلاً في العلامة فكثيراً ما يطلقان على أنهما مفهوم واحد، غير أن في الحقيقة ثمة فرقا بينهما وإن كانت أركانها واحدة، إلا أن مفهوم الإشارة يتركز على المعنى، أما عند العلامة يكون المعنى ثانوياً.

2/ مصطلح الرمز:

إشارة تعبر عن علاقة طبيعية بين الصورة الرمزية وما تدل عليه في العالم الخارجي، ويكون أكثر وضوحاً بالرسم والمجازات البلاغية إذ يدل معنى الرمز على ذاته(3) كما استخدم دي سوسير من جانب آخر كلمة (رمز) لتعيين العلامة اللسانية، والتي سماها الدال، إضافة إلى أنه أشار إلى طبيعة العلاقة في الرمز والتي تختلف عن العلاقة في العلامة اللسانية فهو يرى أن للرمز صفة ليست هي بالشكل اعتباطية أبداً، وهذا الرمز ليس بفارغ أيضاً، إذ هناك بعضاً من ملامح الرابط الطبيعي بين الدال والمدلول، فلا يمكن مثلاً تبديل الميزان، وهو رمز العدالة بشيء آخر كالعربة مثلاً. أما الفرق بين الرمز والإشارة عند موريس في ضوء المعطيات العلمية للنظرية السلوكية، فالرمز لا يعدو أن يكون إشارة لعلامة فيصبح الرمز بديلاً ينوب عن علامة أخرى، في حين أن العلامة في تصوره هي مرادف (للإشارة).

3/ مصطلح الأمانة:

هي واقعة أو حدث سيميائي يعبر لا إرادياً عن فكرة مباشرة أو يبلغ رسالة يمكن إدراكها مباشرة مع عدم النية في التواصل(4). وانطلاقاً من هذا التصور فإن الأمانة علامة ظاهرة ومخصوصة، فعندما نقول الأرض مبللة فهي أمانة على سقوط المطر. قرينتها الظهور والدلالة الظنية ويطلق عليها (المؤشر) التلقائي.

4/ مصطلح القرينة:

يعدها أغلب اللسانيين نوعاً من العلامات إلا أنها تتصف بصفة التعليل بالمجاورة لوجود علاقة ربط حيوية بين القرينة وموضوعها من جانب، ومن جانب آخر لها علاقة بمدخل الحواس. ومثاله الدخان دال على وجود النار " فالقرينة هنا تمارس سلطتها على الشخص في توجيه انتباهه إلى موضوع النار.

• العلامة اللسانية عند الغرب:

إن العلامة من المنظور الغربي نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار، حيث قدّم دي سوسير ماهية للعلامة اللغوية التي تربط في رأيه بين المفهوم والصورة السمعية وليس بين شيء واسم، والصورة السمعية

1 / لسان العرب، ابن منظور، باب الراء فصل الشين المعجمة مج 4 / 436.

2 / السيميائية وفلسفة اللغة، إمبرتو إيكو، ص46.

3 / السيميائيات الواصفة، أحمد يوسف ص101- 103.

4 / في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، ص66.

في نظره "ليست هي الصوت المادي لأنه شيء فيزيائي محض، بل انطباع هذا الصوت في النفس والصورة الصادرة عما تشاهده حواسنا" (1)، لأن التتابع الصوتي إذا أخذ على حدة ، فإنه لن يكون علامة لسانية مستقلة إنما هو ترتيب لأصوات مجردة ليس أكثر، و الفصل بين الدال والمدلول في نظره مستحيل عمليا وما التفريق بينهما إلا لدواع منهجية، كما يرى للعلامة كيان نفسي ذو وجهين، يستدعي تصور الشيء ذهنيا فيها بالضرورة الصورة السمعية، والعكس صحيح: فالدال (significant) هو المتتالية الصوتية المنطوقة أو الحرفية. والمدلول (signifies) هو "مجموع السمات المعنوية التي يثيرها الدال أو الجانب التصوري المعنوي.

وهو بذلك يقصي المرجع أو الواقع الخارجي الذي تشير إليه العلامة ولعل ما يفسر هذا الإقصاء إلى استخدام الدراسة الأنوية واهتمامه بها في دراسته للغة، حيث إن العلاقة بين المفهوم والصورة علاقة اتحاد تام. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن نظرة دي سوسير كانت غير دقيقة مادام أنه لم يشر إلى المرجع أي الصورة الموجودة في الواقع الخارجي لذلك المدلول، ويعتقد من أن المنطلق عنده هو دراسة لذاتها وفي ذاتها، وقد ترتب على إضافة المرجع للعلامة عند غير دي سوسير إلى الاختلافات فيما يتعلق بالعلاقة الاعتبارية بين الدال والمدلول، حيث رأى آخرون أن الاعتبارية بين الدال والمرجع وليس بين الدوال والمدلول (2).

أما العلامة عند تشارلز بيرس اختلفت عن دي سوسير حيث تناولها من منظور فلسفي منطقي وأكثر دقة وتفصيلا، وحاول تقسيم العلامة لثلاثة أركان: (العلامة نفسها، الشيء الذي تمثله، والمفسر الذي يفهم العلامة). هذا التصور يجعل العلامة عملية ديناميكية تشتمل على التمثيل والتفسير والتواصل الاجتماعي، وهو ما يوسع مفهوم العلامة ليشمل أكثر من مجرد علاقة ثنائية كما عند دي سوسير (3) ، والموضوع هو الوجود الواقعي ولا يشترط فيه أن يكون واقعا فإن " هذه الحقيقة ليست بالضرورة في هذا الشيء المعروف تمام التعريف، وهذا العالم المحدد تمام التحديد ، فلغات الطبيعة القدرة على إنشاء عالم تشير إليه تلك اللغة وإن تستطيع هذه اللغة أن تخلق عالم الخطاب والقول المتخيل (4) والعبرة بتفاعل هذه العناصر لا بانعزالها، ويطلق مصطلح (السيرورة التأويلية) لهذا النوع من التفاعل.

وبالمقابل فقد قسم بيرس العلامة على ثلاثة عوامل تتميز فيما بينها وفق العلاقات الآتية:

- الأيقونة (Icon): تعتمد على التشابه مع الشيء الممثل (مثل صورة أو رسم).
- المؤشر (Index): تعتمد على علاقة سببية أو ارتباط فعلي بالشيء (مثل الدخان الذي يدل على النار).
- الرمز (Symbol): تعتمد على اتفاق اجتماعي أو عرف (مثل الكلمات في اللغة).

1 / علم اللغة العام ، دي سوسير ، ص104.

2 / العلامة بين اللسانيات والسيمولوجيا، عبد الرحمن المهوس، مجلة سمات، ص11.

3 / اللسانيات الحديثة في المغرب العربي، سميرة بالمالك، ص 2001.

4 / في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، ص33.

أما شارل موريس، اعتبر أن العلامة ليست فقط دلالة بل هي عملية تواصلية واجتماعية وركز على العلاقة بين العلامة والمرجع والمفسر، كما اهتم بدراسة العلامة في سياقاتها الاجتماعية والثقافية، معتبرا أن العلامة تتشكل وتتغير حسب السياق الاجتماعي والتفاعلات بين الأفراد. و ربط العلامة بثلاثة أبعاد:

1. التركيبي (علاقات العلامات ببعضها).

2. الدلالي (علاقة العلامة بالواقع).

3. العملي (تأثيرها في المتلقي).

هذا المنظور يعكس تطورا في فهم العلامة من مجرد وحدة لغوية إلى ظاهرة اجتماعية تفاعلية. فقد رأى الفرق بين المدلول والمرجع ليس شيئا عينا، بل هو نوع من الموضوعات. حيث يقول " كل علامة تتضمن مفهوما أو مدلولاً ولا تتضمن بالضرورة مرجعا. (1)

أما اللسانيون المعاصرون استمروا في تطوير مفاهيم العلامة اللغوية، حيث تُدرس العلامات ليس فقط من الناحية اللغوية بل كأدوات تواصل ثقافي واجتماعي لتشمل مجالات متعددة مثل الإعلام، الأدب، والفنون البصرية، ، كما تم دمج مفاهيم من دي سوسير وبيرس لتكوين فهم أكثر شمولية للعلامة ليجمع بين البنية الداخلية للغة وعملية التواصل في المجتمع.

• نظرة مقارنة بين دي سوسير وبيرس وموريس:

الجانب	دي سوسير	بيرس	موريس
طبيعة العلامة	ارتباط ثنائي بين دال ومدلول	علاقة ثلاثية بين العلامة، الشيء، والمفسر	تطوير بيرس مع تركيز على السياق الاجتماعي والتفاعلي
العلاقة بين الدال والمدلول	اعتباطية وغير طبيعية	الرموز اعتباطية، لكن هناك أنواع أخرى: أيقونة (علاقة تشابه). مؤشر (علاقة سببية).	العلامة عملية تواصلية واجتماعية متغيرة حسب السياق
التركيز الأساسي	اللغة كنظام من العلامات	العلامة كعملية تمثيل وتفسير	العلامة كظاهرة اجتماعية تفاعلية
المنهج	بنيوي	سيمائي فلسفي	سيمائي اجتماعي
السياق	نظام لغوي مغلق	عملية تفسيرية	تفاعل اجتماعي وسياقي
الدور الاجتماعي	محدود (اتفاق اعتباطي)	جزئي (في الرمز)	محوري (تأثير العلامة على المجتمع)

1 / العلامة في التراث اللساني، أحمد حساني، ص27.

• خصائص العلامة اللسانية:

اجتهد اللسانيون في مركزية العلامة في الدراسة اللسانية الحديثة وانبرت طبيعتها وخصوصيتها في كونها:
أولاً: القصدية:

إن الإنسان حين يستخدم العلامة يكون قاصداً من ذلك إعلام المتلقي وإفادته. إذ أن المتكلم بوصفه صانع الخطاب يتوخى من إنجاز هذا الخطاب إيصال أفكاره إلى الغير لاستدعاء حدوث الدلالة أو رد فعلي عملي.

ثانياً: الخطية :

إن العلامة اللغوية أهم عناصر اللسان فقد اتسمت العلامات اللسانية بما تتميز به اللغة عامة من مفهوم رياضي بحكم طبيعتها السمعية هو الخطية حيث انها تتعاقب عبر الزمن لتمثل فترة زمنية تتحدد من بدء إنجازها وانتقالها.

ثالثاً: الانتظام :

إن العلامات تنتظم في نظام معين يختلف من لغة إلى أخرى ، يمكن أن نقف على هذا النظام من خلال المجالات الدلالية التي تنتظم فيها العلامات.

رابعاً: الاعتباطية (العرفية):

إن فكرة الاعتباطية بين الدال والمدلول في تصور دي سوسير ليس واضحاً تماماً، ويمثل دي سوسير على ذلك بفكرة أخت لا ترتبط بأي علاقة داخلية بالأصوات (أ. خ. ت) والتي تضطلع بوظيفة الدال في اللغة، فكان من الممكن أن تمثله أي أصوات كلمات أخرى مستندا إلى الاختلافات التي قد نراها بين اللغات حول المسميات نفسها. حيث يقول " فالدلالة اللسانية لا تجمع اسماً إزاء مسمى، ولا تربط الشيء باللفظ، بل العلامة توحدت صوراً مع صورة سمعية، وليست الصورة السمعية صوتاً مادياً، ونعني بذلك شيئاً محط فيزيائي بل إنها أثر سيكولوجي ناتج عن الصوت، أي التمثل الذي تعطيه إيانا شهادة حواسنا في الصورة السمعية، ناتجة عن أعضائنا وقدراتنا الحية".⁽¹⁾ وقد أثارت فكرته ردود أفعال كثيرة ومختلفة بين القبول والرفض ولعل أبرز المعارضين له هو الفرنسي ايميل بنفييت، وهذا معناه أن دي سوسير يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة غير معللة، إذا عدّ اللسان نظاماً من الأدلة⁽²⁾ والدليل ليس شيئاً يأخذ مكان شيء آخر⁽³⁾ ولكنه علاقة وصلة بين شيئين، فالدليل اللساني يجمع بين المفهوم والصورة الصوتية. أي بين الدال والمدلول.⁽²⁾

أما فكرة الاعتباطية في السياق العربي ارتبطت بمفاهيم من التراث مثل مصطلح "الوضع" ، أي العلاقة بين اللفظ وما وُضع له، ثم تطور المفهوم عنده حتى أصبحت ليست مجرد علاقة اعتباطية بالكامل بين دال ومدلول كما في التصور السوسيري، بل لها أصول اشتقاقية وصرفية تعود إلى الجذر والوزن، مما

1 / علم اللغة العام ، دي سوسير ، ص 26.

2 / المرجع السابق، ص 105.

يمنحها طابعاً نظامياً دقيقاً. وهي بنية وظيفية تتحدد ضمن نظام لغوي متكامل، حيث لا يمكن فهم العلامة إلا من خلال موقعها في هذا النظام، وأدخل الحاج صالح مفهوم العلامة العدمية، وهي العلامة التي تُفهم من غيابها، مثل الحذف في النحو العربي، مما يدل على وعيه العميق بالبنية الخفية للغة⁽¹⁾

• العلامة بين الاعتباطية والضرورة:

يرى بعض اللسانيين باعتباطية العلامة كون المدلولات واحدة عند الناس جميعاً، غير أن الدوال التي تقابل تلك المدلولات مختلفة من مجتمع إلى آخر، ولو كانت العلاقة بينهما طبيعية لزومية موحدة بين الناس جميعاً، لوجدت تبعا لذلك لغة موحدة في العالم أو لغات متشابهة إلى حد بعيد، لكن الواقع يخالف ذلك. ولا نعني باعتباطية الدليل أن اختيار الدال متروك للمتكلم، إذ لا قدرة للمتكلم على التحكم في الدال بتغييره بعد أن تلقفته الجماعة وحظيت بقبوله.⁽²⁾

ويبدو أن العلامة اللغوية ليست على درجة واحدة من الاعتباطية إذ أن هناك علامات ذات اعتباطية مطلقة وأخرى ذات اعتباطية نسبية، والدليل الذي يذهب إليه دي سوسير أن قيمة العبارة مجتمعة لا تساوي أبداً قيم الأجزاء³، لذا نلاحظ القيمة اللغوية التي طرحها هي ذات حضور قيمي ومعنوي. فالاعتباطية تكون بين اللفظ الأصلي ومدلوله (معناه) أما المعنى الآخر (معنى المعنى) فلا أثر للاعتباطية؛ إذ إطلاق اللفظ على المعنى الأصلي، أو ما يمكن أن يسمى بالوضع الأول هو عمل اعتباطي، أما إطلاقه على معنى المعنى كإطلاق اللسان على اللغة، أو العين على الجاسوس فهو عمل معلل والمقصود بالوضع عند الإطلاق هو الوضع الأول، لذا يقال إن وضع اللغة عمل اعتباطي⁽⁴⁾. أما منتقدي دي سوسير باعتباطية الدليل اللساني المطلقة، يرون أن الاعتباطية ليست مطلقة، حيث تلعب الرمزية الصوتية والثقافية دوراً في تحفيز العلامات جزئياً (Motivation) وتقدم تحليلاً للتوازن بين الاعتباطية والتحفيز، ونظراً إلى العلاقة بين الدال والمدلول تزيد وثافة بكثرة الاستعمال، فإن المتكلمين يشعرون بقوة الاتصال بين الدال والمدلول في ألفاظ اللغة بوجه عام.

ونخلص بقولنا أن اعتباطية العلامة اللسانية لا يعني الفوضى والحرية المطلقة في اختيار الألفاظ، وليس معنى الاعتباطية بين الدال والمدلول أيضاً أن المتكلم له الحرية الكاملة في اختيار الدلالات التي يريد أن يعطيها لهذه العلامة أو تلك.

• العلامة بين الأفراد والتركيب:

شهد الفكر اللساني المعاصر تطوراً ملحوظاً في فهم مرحلة التركيز على العلامة البسيطة لتشمل ما يُعرف بـ"العلامة اللسانية المركبة"، وتشير العلامة المركبة وجود علامات تتداخل فيها مستويات لغوية وثقافية

1 / بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن حاج صالح، ص109.

2 / في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان ص235.

3 / علم اللغة العام / دي سوسير، ص111.

4 / المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد يونس، ص 49.

وسياقية لتكوين المعنى، مما يستلزم تفسيرات معقدة لفهمها بشكل كامل فعلى سبيل المثال: كلمة "حرية" لا يمكن اختزال معناها في علاقة مباشرة بين اللفظ والمفهوم، إذ تتأثر دلالتها بالسياقات الفكرية والثقافية المتنوعة، وهو ما يميزها عن العلامة اللسانية البسيطة. ومع ذلك، يعرف دي سوسير العلامة اللسانية البسيطة بأنها: وحدة تتشكل من ارتباط ثنائي بين الدال (الصورة السمعية) والمدلول (المفهوم)، حيث تكون العلاقة بينهما مباشرة وسريعة، وفي المقابل، يرى عدد من الباحثين أن مفهوم العلامة يقتصر في الأصل على المفردات فقط، مستنديين في ذلك إلى وفرة الأمثلة الإفرادية مثل "شجرة"، "سماء"، "جبل"، و"أخت"، التي تمثل علامة بسيطة لأنها تدل مباشرة مثلاً على مفهوم (الشجرة) في الواقع.

أما في مجال التحليل القواعدي، توسع مفهوم العلامة ليشمل العلامة القواعدية إلى جانب العلامة المعجمية، فعلى سبيل المثال، كلمة "ساهر" تتكون من علامتين: الأولى هي الجذر (س، هـ، ر) الذي يمثل العلامة المعجمية، إذ يدل على معنى معجمي محدد (المكوث يقظاً بعد موعد النوم)، والثانية هي صيغة "فاعل" التي تعد علامة قواعدية.⁽¹⁾ وتختلف العلامات القواعدية عن المعجمية في كونها محدودة العدد ويمكن حصرها، بينما العلامات المعجمية تتسم بتجدد مستمر ودخول علامات جديدة.

بينما يذهب الباحثون في مجال النص والخطاب أن الجملة الوحدة الأكبر التي يمكن اعتبارها علامة لغوية، إلى اعتبار النص كوحدة تحليلية كلية، تُشكّل الجمل مكوناتها الأساسية، ويؤيد معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات هذا التوجه، حيث يشير إلى أن العلامة قد تكون إما وحدة بسيطة مثل "إجاصة" أو "جبل"، أو مركبة تتكون من ترابط وحدتين أو أكثر، كما في تركيب "أنا أعتقد" أو "حاملة الأوراق".⁽²⁾ من هذا المنطلق، يصبح من الضروري إعادة النظر في مدى تطبيق توسيع مفهوم العلامة ليشمل التراكيب اللغوية، مثل المركبات الإضافية (كتاب سعيد)، والوصفية (سيارة حمراء)، والبديلية (الكتاب نفسه)، والإسنادية (الجو لطيف)، التي تلعب دوراً مركزياً في بناء المعنى.

ومن جانب آخر، تناول التراث العربي هذه القضية من خلال نقاش ثنائي الدال والمدلول، حيث قام فخر الدين الرازي (توفي 606 هـ) بموازنة بين العلامة المفردة والتركيبية، مستنتجاً أن الدلالة التركيبية عقلية تتبع من اعتبارية الدلالة الإفرادية، فقد أوضح أن معاني الألفاظ المفردة وضعية واعتباطية.⁽³⁾ بينما يقوم العقل بتركيب هذه المعاني المفردة ليصل إلى معانٍ مركبة، مما يبرز الفرق بين الدلالة الإفرادية والدلالة التركيبية، وتُحزن هذه العلامات، سواء كانت مفردات أو تراكيب، في الذاكرة اللغوية لأفراد المجتمع، ويستخدمها المتحدثون والمستمعون في التواصل الشفهي والكتابي، بل في الحوار الداخلي دون الحاجة إلى النطق الفعلي، ذلك لأن العلامة، بوحدتها الدال والمدلول، هي كيان ذهني محفوظ يُستدعى عند الحاجة إلى التواصل.

1 / المعنى وظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، محمد محمد بونس 27.

2/ معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غازي، ص 66.

3 / مركزية العلامة اللغوية في الدرس اللساني، حسين قاضي، ص 333.

• جدول توضيحي لمفهومي العلامة المفردة والمركبة:

النوع	التعريف	المثال	الخصائص
العلامة البسيطة	وحدة لغوية دالة تتكون من عنصر واحد (صوتي أو صرفي)	مثل: "ب" في "بدار"	لا تنقسم إلى وحدات أصغر دالة
العلامة المركبة	تتكون من اتحاد علامتين أو أكثر لتكوين معنى جديد	مثل: "بيت" = "ب" + "ي" + "ت"	تتضمن علاقات تركيبية معناها يتجاوز مجموع أجزائها

الخاتمة :

من خلال ما تقدم، نخلص إلى النقاط التالية:

- تُعدُّ العلامة اللسانية من المفاهيم الأساسية والمحورية في علم اللسانيات الحديثة، فهي ليست مجرد وحدة لغوية، بل هي ظاهرة متعددة الأبعاد تتداخل فيها النفسية والمنطقية واللسانية، مما يتيح للباحثين تحليل اللغة والنصوص بشكل أكثر حيث أسهمت بشكل جوهري في إعادة تشكيل فهمنا للغة بوصفها نظاماً من الرموز والدلالات التي تعكس ليس فقط العمليات التواصلية، بل البنى الثقافية والاجتماعية التي تنتمي إليها.
- لا يخفى على أصحاب الحقل اللساني أن التراث العربي القديم لديهم مفهوم اللفظ والمعنى وخاضوا فيه على مختلف مشاربهم وتوجهاتهم، إلا أننا لم نجدهم يصفون العلاقة القائمة بين الدال والمدلول بهذا المفهوم الذي اتفق على تسميته فيما بعد "بالاعتباطية" وهذا المفهوم ارتبط في الدراسات اللسانية الحديثة خاصة بعد اللسانيات البنوية وما تركته من إرث دي سوسير بات يعرف بثنائية الدال والمدلول والعلاقة بينهما.
- إن التفاعل بين المفاهيم الغربية والمصطلحات التراثية العربية يوضح أن هناك حاجة دائمة لتأصيل المفاهيم اللسانية في سياقاتها الثقافية والمعرفية المختلفة، خصوصاً في ظل التداخل والنقاط بين علوم اللغة والبلاغة والمنطق في التراث العربي، مما يجعل ترجمة مفاهيم مثل "sign" و "symbol" و "index" أمراً إشكالياً، ومن ثم تعميم مصطلح العلامة هو الأعم والأشمل لأن يكون بديلاً مقابلاً لمصطلح (signe) بمعناه العام، لأنه غير مشروط بأي خصوصية.
- إن دراسة العلامة اللسانية تكشف عن تعدد الرؤى وتباين المنهجيات بين التراث العربي القديم والمقاربات الغربية الحديثة، حيث ركز العرب على الوظيفة البلاغية والدلالية، بينما اهتم الغرب بالبنية والعلاقة الشكلية. وهذا التباين يفتح آفاقاً واسعة أمام الدراسات المقارنة التي تسعى إلى إثراء البحث اللساني وتطويره بما يتناسب مع متطلبات العصر.

المصادر والمراجع:

الكتب:

- إشكاليات القراءة وآليات التأويل. نصر حامد أبو زيد، مؤسسة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1991.
- السيميائيات الواصفة للمنطق السيميائي وجبر العلامات، أحمد يوسف، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الدار البيضاء، ط1، 2005.
- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن حاج صالح، دار موفم للنشر، الجزائر ط1، 2007.
- التحليل الدلالي، كريم زكي حسام الدين، دار مصر الجديدة، مج1، 1980.
- السيميائيات والتأويل لشارلز بيرس، ترجمة: سعيد بركراد، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- السيميائية وفلسفة اللغة، إمبرتو ايكو، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010.
- العلامة في التراث اللساني، أحمد حساني، مركز عبد الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2015.
- العلامة والعلامية، محمد عبد المطلب، دار الوطن العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.
- الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط4، 1980.
- في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، دار الكتب الجديدة، ط1، 2010.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، باب الميم فصل العين مج 4، د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور، باب الراء فصل الشين المعجمة مج 4، دار صادر، بيروت، د.ت.
- اللسانيات الحديثة في المغرب العربي، سميرة بالمالك، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أبي بكر بالقائد تلمسان، 2001.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط2، 2000.
- علم اللغة العام / دي سوسير، ترجمة: يوثيل يوسف، مراجعة مالك يوسف المطلبي، بيت الموصل، 1988.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، باب العين واللام، وما يتلثهما مج 4،
- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس، بيروت دار المدار الإسلامي، ط2، 2007.
- معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غازي، تر: عبد القادر فهم الشيباني، 2007، مطبعة سيدي بلعباس، الجزائر، ط1.

الدوريات :

- العلامة بين اللسانيات والسيمولوجيا، عبد الرحمن بن إبراهيم المهووس، مجلة سمات، جامعة البحرين، المجلد 2، العدد2، 2014.
- مركزية العلامة اللغوية في الدرس اللساني، حسين قاضي، جامعة الجبالي بونعام، الجزائر، المجلد 20، العدد1، 2024.